ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

إيران الإسلام بين منظومة العيون الأربع وديبلوماسية حياكة السجاد..

محمد صادق الحسيني

خمسة وأربعون عاماً وهم يحاولون إلصاق التهمة بها بأنها ثورة إيرانية، وبالتالي ما دخل العرب بها أو سائر الأمم الأخرى..!؟

خمسة وأربعون عاماً وهم يحاولون إلصاق التهمة بها بأنها ثورة شيعية، وبالتالي ما دخل أهل السنة بها او سائر الطوائف الأخرى!؟

خمسة وأربعون عاماً وهم يحاولون إلصاق التهمة بها بأنها ثورة «صفوية»، وبالتالي ما دخل الإسلام والمسلمين بها!؟

خمسة وأربعون عاماً وهم يبذلون قصارى جهدهم لإثبات أنّ هذه الثورة الدينية لأنها دينية فهي تعني التخلف والجهل والظلامية واللاعصرية واللامدنية!

خمسة وأربعون عاماً وقبل ذلك ربع قرن إضافي وهم يحاولون إخراج قادتها العلماء من مسرح الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية للناس بحجة أنّ حداثتهم و«تقدمهم» و«مدنيتهم» أسدلت الستار وإلى الأبد على مقولتي التديّن والأيديولوجيا، وأنهم باتوا يمثلون «نهاية التاريخ».

وأنّ من يقف بوجههم او من يحاججهم مهزوم لا محالة وأمره ماضٍ الى زوال من دون شك أو ترديد، فكيف من تجرأ او يتجرأ على مقارعتهم..!؟

خمسة وأربعون عاماً ومثلها أو يزيد من قبل، وهم يبذلون قصارى جهدهم لإثبات انّ نظامهم الدولي اي معادلة المنتصرين في الحرب العالمية الثانية، وما تبعها من تكريس وتعزيز مدنّس بقيام كيان الاغتصاب والاحتلال، هو النظام التقدمي والحر والأصيل والوحيد القادر على صناعة التاريخ والارتقاء بالأمم إلى سدة الحضارة والتطور والسيادة والريادة.

خمسة وأربعون عاماً وهم مغتاظون لماذا قامت طهران برفع راية العروبة والإسلام وفلسطين التي رماها أخوة يوسف على قارعة الطريق، وأدخلت العربية لغة رسمية ثانية في مناهجها واعترفت بأهل الأرض الأصليين والحقيقيين نعم لتلك الأرض الطاهرة والمباركة من أيام كنعان الى يوم الدين ورفعت شعارها الشهير: اليوم إيران وغداً فلسطين.

وحاولوا إسقاط تلك الراية تكراراً لكي لا تفضحهم ولا تفضح سرّ علاقتهم بسيدهم المؤسّس لكياناتهم المصطنعة والطارئة!

لكن ذلك الرجل الثمانيني الوقور والحكيم والزاهد في الدنيا والفقير الى الله، لكنه الغني بدينه وثباته وتصميمه والمتمسك بعقيدته وعزيمته الراسخة على أنه الأقوى وأنه الأعز وأنه الأرقى ما دام معتصماً بحبل الله المتين ومؤمن بمقولة «ان ينصركم الله فلا غالب لكم»، استطاع أن يبزّهم جماعات وفرادى ويثبت لهم بطلان ما روّجوا له، عنيتُ به الإمام روح الله الموسوي الخميني الكبير.

في مثل هذه الأيام من العام ١٩٧٩ استطاع رجل الاحتجاج والرفض والثورة والحكم أن يضع حداً لكلّ محاولاتهم اليائسة والبائسة.

بعبارة واحدة اعتمدها منهجاً، استطاع أن يبزّهم جميعاً يوم وجه نداءه الشهير:

يا شعبنا العظيم ويا شعوب العالم أجمع: «لقّنوا أنفسكم أنكم تستطيعون وقادرون، ستستطيعون حتماً».

وبمنهج واضح ومنير ومستنير استطاع أن يعرض أفكاره ملخّصاً كلّ ما أراد قوله أو فعله على مدى حياته مقدّماً معادلته البديلة:

الدين يساوي الحياة

نعم الحياة كلها من ألفها إلى يائها وهمزها والحروف كلها.

وهكذا كانت المبارزة في ميادين الغيب كما في ساحات الشهادة، أي في ميادين ادّعاءات خصومه من حيث روّجوا لخروج الدين من دورة الحياة، كما في تلك الميادين التي ظنوا أنهم الوحيدون الفاعلون فيها، أيّ امتلاك الصدارة في شؤون العلم والعقل، استطاع قائد الثورة وحكيمها وحاكم دولتها الفتية ومن بعده تلامذته الملتزمون بخطه ونهجه، أن يبزّوا ذلك الغربي المتعجرف والاستعلائي والأناني من خلال «منظومة العيون الأربع» وذلك يوم دعا شعبه وعمل معهم على رسم معالم أول دولة دينية حديثة ومعاصرة تقوم على مبدأ الجمع والمزج المدروس والمتقن والمحكم بين «العقيدة والعزيمة والعلم والعقل»، وهكذا كان، وبُهتَ الذي كفر.

انظروا الآن الى إيران بعد كلّ ما جرى لها.. واحكموا وقارنوا أنتم بأنفسكم ماذا كانوا يريدون لها ان تكون وماذا خططوا ضدها وماذا فكروا لها وماذا روّجوا عنها، وما آلت إليه فعلاً كما أرادت لها قيادتها الحكيمة!؟

لم يتركوا وسيلة للتآمر عليها ولا محاولة لإسقاط ثورتها ودولتها إلا وقد فعلوا والشواهد

والأدلة والقرائن بالمئات.

لم يتركوا باباً أو نافذة يعرفونها إلا وأغلقوها على الدولة الفتية، ولم يتركوا أحداً من ضعاف النفوس إلا واشتروه ليعمل ضدها، ولم يتركوا جماعة او دويلة او إمارة او حكومة او ملكاً أو أميراً او رئيساً إلا وجنّدوه ضدها بالحرب الصلبة أو بالحرب الناعمة.

حاولوا حصارها كما فعلوا بجدّ ذلك الرجل الثمانيني العجوز، عنيتُ به النبي العربي القرشي محمد بن عبد الله، واستمروا من بعده مع وريثه الحق الإمام السيد علي الخامنئي حتى قيل عن طهران يوماً على لسان معانديها وبعض المرجفين في المدينة من أبناء جلدتها بانها باتت في «شِعب أبي طالب» كما ظنوا وانه ما هي إلا أشهر وتسقط.

ولكن ماذا حصل بفعل تلك «العيون الأربع» وماذا حصل بفعل منهج: «لقنوا أنفسكم بأنكم تستطيعون وقادرون، ستستطيعون»!؟

ليس فقط لم يتمكنوا منها ولم يستطيعوا حشرها في شِعب أبي طالب، بل إنها أصبحت اليوم بكل فخر واعتزاز في عصر بدر وخيبر.

نعم انها تصعد الى الفضاء بصواريخها ومُسيّراتها متعلقة بأقمارها ومسبارها وسائر مركباتها، وتجوب البحار على مدى الأفق من هرمز الى خليج عدن وباب المندب الى المحيط الهندي والى مضيق جبل طارق وإلى ما بعد ما بعد جبل طارق، حتى مضيق باناما، والقادم أبعد وأبعد.

وتتصدّر في العلوم قائمة المتميّزين ضمن الدول العشر الأولى في العالم في أكثر من صعيد ومستوى وحقل، والمقبل من الأيام يشي بمفاجآت كبيرة وأكبر وأكبر.

والأمر كذلك في ميادين السياسة والدور والموقع، حيث غدت عضواً أساسياً في نادي الدول النووية في العالم ناهيك عن كونها الدولة الإقليمية الأهمّ فيه والتي يُشار إليها بالبنان في كلّ شاردة وواردة.

وفوق هذا وقبله وبعده ترى «سيد» هذا العالم المستعلي والمتجبّر والمستكبر يجد نفسه مضطراً ومجبراً ومكرهاً للإذعان بضرورة مفاوضتها بأيّ ملف من ملفات المنطقة، معترفاً لها بذلك بأنها أفلتت من حصاره، وموقناً أكثر فأكثر، بأنه لا فكاك من التعايش معها ولو على مضض.

إنها عزة الصابرين الاستراتيجيين والمتقنين لديبلوماسية حياكة السجاد، نعم بفضل جمعهم لعالم الغيب والشهادة في منظومة ينبغي أن تسجل لذلك الرجل الثمانيني الضارب جذوره في أعماق عين اليقين:

إنها «منظومة العيون الأربع»، انها المنظومة التي هزمت فوكوياما «نهاية التاريخ» ومن قبله هنتنغتون «صراع الحضارات»، والتي أسّست لعصر خلفه الإمام السيد علي الخامنئي، صاحب نظرية دولة الحضارة الإسلامية المعاصرة، بقواعد تعامل واشتباك سياسي أمني عسكري وفكري وثقافي جديدة مع الخصوم، يستطيع معها القول:

بأن العالم الذي جمع له يوماً ليهزمه ويهزم ثورة شعبه ليس فقط يفشل اليوم في كلّ حشده المتوالي على مدى أربعة عقود ونيّف.

بل بات اليوم أكثر قوة وأشدّ عزماً بعد أن بات معه على الميمنة كما على الميسرة رجال أشداء، كأنهم زُبُر الحديد أمثال السيد حسن نصر الله والسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي وفي القلب رجال من جنس الشهداء القادة أمثال الحاج قاسم سليماني وابي مهدي المهندس حتى وهم شهداء، لكنهم أحياء خالدون قادرون على أن يهزموا ما تبقى من معادلة المنتصرين في الحرب العالمية الثانية، والتي من أهمّ ركائزها «دويلة الكيان المؤقت»، ذلك الكيان السرطاني الذي بات أقرب ما يكون الى التفكك والتصدع والاقتراب من نقطة الزوال.

وهكذا صار أبناء منظومة العيون الأربع هم سلاطين البحر المتوسط والبحر الأحمر وسادة جزيرة العرب وورثة ممالك فارس وفينيقيا وبلقيس ومأرب ورجال الله يوم الفتح الأكبر في ما بعد ما بعد الجليل وتحرير فلسطين كلّ فلسطين.

إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً،
بعدنا طيبين قولوا الله

شكرا إيران

ناصر قنديل

– عندما انتصرت الثورة الإسلامية في إيران قبل ٤٥ سنة، كان الإبهار الذي قدّمته بتقديمها جديدين كبيرين: الأول نجاحها كثورة شعبية سلمية في الانتصار على أعتى أنظمة القمع الدموي في منطقة هي الأشد حساسية وتعقيداً في العالم، مقدمة المثال لشعوب المنطقة في القدرة على الفوز على نظام شديد القسوة والقوة في معركة مواجهة يخوضها الشعب دون الحاجة لاستخدام القوة. والثاني هو تقديم نموذج جديد لرجل الدين العالم والقائد الشعبي والسياسي والاستراتيجي، النافذ البصيرة والواضح الرؤية والممتلك تصورات وافية عن السياسات الدولية والإقليمية وعن الاقتصاد والسياسة والجيوش والحروب والقضايا، بمثل ما يمتلك من عمق فهمه للشؤون الدينية، ونجاحه بالربط بين الفهمين، بحيث يمثل فهمه كقائد سياسيّ ترجمة للفهم الديني، وترتبط دعوته الدينية بالدعوة لمفاهيم جديدة في السياسة.

– راهن الكثيرون بعد انتصار الثورة على ظهور عوامل تفقد الثورة وهجها، وترفع منسوب الأزمات والتحديات المستعصية أمامها، وتفقد شعبيتها داخل إيران، بسبب عجزها عن حل مشاكل عصرية لا تجيب عليها كتب سماوية نزلت قبل أكثر من ألف عام، واصطدامها بـ انقسامات مجتمعية أكثر عمقاً من أن يردم الهوة بين مكوناتها خطاب رومانسي عن وحدة الدين، وراهن آخرون على أن تأكل الدولة الثورة، وأن تتراجع الثورة بفعل ذلك عن الكثير من شعاراتها وخطاباتها الثورة، والتزاماتها بالقضايا، أسوة بما أصاب ثورات أخرى. وراهن آخرون على أن تحاصر إيران بعصبيات أشد فتكاً من اندفاعة الحماس لها، خصوصاً مع الحذر والقلق في المحيطين العربي والإسلامي مما مثلته من جديد وافد ومن نموذج مختلف وشعارات جريئة، وفي المحيطين العربي والإسلامي قدرات وأموال لرفع جدران التعصب المذهبي والقومي بوجهها.

– خلال الأعوام التي مضت تجاوزت إيران الإسلامية الكثير من الامتحانات والفخاخ، وكان أول الفتوحات العلمية لقياداتها المصالحة بين العلوم والدين، والانفتاح على أي منجز عصري سياسي وثقافي وعلمي يمكن تكريسه لخدمة الإنسان، فلا مشكلة مع الديمقراطية، والانتخابات، والحريات الإعلامية والسياسية، والتعددية. وبالمثل يجب توسيع نطاق الابتكار وتشجيع التنمية العلمية والإنجازات العملية في مختلف الحقول والملفات، من الطب إلى الهندسة إلى الذرة إلى العلوم السياسية والاستراتيجية وبناء القدرات العسكرية، فصارت دولة شعبية منفتحة على كل اجتهادات العلوم، ممتلئة القدرات ومتسارعة الخطى نحو مكانة الدول المتقدمة. وفي الشأن الاقتصادي بقيت الجمهورية الاسلامية الوليدة من الثورة مخلصة لمعيارين متوازيين، التنمية الاقتصادية وارتباطها بالتنمية الاجتماعية. فلا قيمة للأرقام عن نسب النمو وعن الناتج الوطني، ما لم تتربط بأمرين، الأول توفير أعلى مراتب الاكتفاء الذاتي الصناعي والزراعي والغذائي والتسليحي والتقني وصولاً الى الملف النووي. والثاني توسيع شبكات الخدمة الاجتماعية أفقياً عمودياً، أي استفادة المجتمع في مجالات تعميم التعليم والصحة والكهرباء والهاتف والسكن والمواصلات، بحيث يتمكن أفقر الناس من الحصول على أكبر قدر من الخدمات بأقل كلفة.

– بالتوازي رسمت القيادة الإيرانية منذ اليوم الأول لثورتها الإسلامية بقيادة الإمام الخميني، وواصلت خطاها باقتدار وشجاعة بقيادة الإمام الخامنئي، مساراً للإجابة عن سؤال العلاقة بين الوطني والإقليمي والدولي، فوضعت القضية الفلسطينية معياراً لخيار الاستقلال الوطني، ووضعت ثقلها بصدق وإخلاص لرفع مكانة هذه القضية، وتحويلها إلى محور جاذب لشعوب المنطقة وقواها السياسية وأساساً للاتفاق والاختلاف مع حكوماتها، وجعلت دعم مقاومة الشعوب خطاً ثابتاً لا حياد عنه في سياساتها وتنظيم استخدام مواردها، فنمت المقاومات وتعممت كخيار، واتسع نفوذها، وحققت الإنجازات والانتصارات. واحترمت إيران خصوصيات هوياتها الوطنية، وضوابط هذه الهويات، فزادت مكانة ايران بينها رفعة، ووضعت ثقلها لتحويل فكرة المقاومة الجامعة لهذه الحركات إلى أساس لتلاقيها كمحور واحد يقوم على احترام الخصوصيات الوطنية لمكوّناته، لكنه يستثمر على المشترك بينها، حتى تحولت فلسطين والمقاومة والمحور الى مفردات في السياسات الدولية، وصار محور المقاومة لاعباً محورياً في المنطقة. وها هو طوفان الأقصى يقلب العالم رأساً على عقب، وها هي فلسطين التي ظنّ الكثيرون أنها قضية منسية تفرض حضورها على العالم منذ ١٢٨ يوماً ولا تزال.

– حققت إيران استقرارها بفضل النظام الشعبي الذي قام على الانتخابات والتعدّدية ومساحة واسعة من الحريات، ونظام اقتصاديّ اجتماعيّ أمسك العصا من الوسط بين الطبقات الاجتماعية، وركز جهود التنمية على إيجاد فرص الاستثمار وفرص العمل معاً، وتقديم السلع والخدمات بأفضل الأسعار لأوسع فئات الشعب. وشكل الإسلام الهوية الجامعة للقوميات المتعددة التي ضمّتها الجمهورية الإسلامية، لكنها انتزعت مكانة مرموقة بين الدول بفضل صيانة استقلالها الوطني اقتصادياً وسياسياً وبناء قدرة عسكرية مهابة الجانب، وقدمت عبر مثال احتضانها لقضية فلسطين وقوى المقاومة نموذجاً فذاً لتغيير موازين القوى السياسية والميدانية في منطقة هي الأهم في العالم، لما تحتويه من عناصر استراتيجية، من مضائق وخطوط تجارة وموارد الطاقة وتقاطع خطوط التجارة العالمية.

– تغيّرت المنطقة، وتراجعت "إسرائيل" وأصيبت بالوهن، وتراجع وزن أميركا بفضل هذا التغيير، ونهضت روسيا والصين لأخذ مواقع ومواقف تشجعت عليها بفعل هذا التغيير. وكانت الحرب على سورية فرصة لتظهير كل ذلك، وفي طوفان الأقصى بدت أميركا و"إسرائيل" عاجزتين عن الحسم العسكري وعن المبادرة السياسية. وشكلت ايران ومحور المقاومة عنصر التوازن، وولدت معادلة جديدة في العالم بيضة القبان فيها منطقتنا، وقضيتها الأولى التي تهتف لها الشوارع قضيتنا.

– بعد ٤٥ عاماً، شكراً إيران على النجاح والثبات والتغيير، فلولا إيران هذه، إيران الإمامين الخميني والخامنئي، لما كان كل هذا.

هل أعطى بايدن ضوءاً أخضر لنتنياهو لغزو رفح؟

قالت صحيفة «واشنطن بوست» الامريكية الاحد، ان الرئيس الامريكي جو بايدن، وكبار مساعديه، اصبحوا «أقرب إلى القطيعة مع نتنياهو أكثر من أي وقت مضى منذ بدء حرب غزة، ولم يعودوا ينظرون إليه كشريك يمكن التأثير عليه حتى في السر.. وان الإحباط المتزايد تجاه نتنياهو، دفع بعض مساعدي بايدن، إلى حثه على أن يكون أكثر انتقادا بشكل علني له بشأن العملية العسكرية في رفح".

-ما قالته صحيفة «واشنطن بوست»، كررته العديد من وسائل الاعلام والصحف الامريكية، باشكال أخرى، الا ان ما يجري على الارض وما يقال وراء الكواليس، بل حتى في العلن، يؤكد انه ليس هناك ادنى مؤشر، يمكن ان يدل الى وجود تحول استراتيجي في موقف الادارة الامريكية من الكيان الاسرائيلي، ومن حرب الابادة التي تتعرض لها غزة، وكل ما في الامر هناك اختلاف بسيط حول «طريقة» تنفيذ الابادة، ليس الا، فبايدن يطالب نتنياهو، ان «يقتل وفق خطة موضوعة «، وليس بشكل عشوائي دون هدف، فهو بذلك سيؤثر سلبا على الوضع الانتخابي للرئيس الامريكي، بعد ان جند كل امكانيات امريكا لخدمة الحرب ضد غزة.

-هناك من يرى ان سبب «استياء» بايدن من نتنياهو، ليس رفض الاخير ل»أوامره» بعدم الهجوم على رفح، فليس هناك مثل هذه «الاوامر» اصلا، بل بسبب الإحباط الذي اصاب بايدن وادارته من عجز نتنياهو و «جيشه» من القضاء على حماس والمقاومة في غزة، رغم كل الوقت الذي منح له، ورغم كل العتاد والاسلحة الطائرات، التي زودت بها امريكا «اسرائيل".

-منذ السابع من اكتوبر الماضي وحتى اليوم زار وزير الخارجية الامريكية بلينكن المنطقة ٧ مرات، وبعد كل زيارة نشهد تصعيدا خطيرا في العمليات العسكرية التي تنفذها قوات الاحتلال في غزة، وفي الزيارة السابعة والاخيرة ، منح بلينكن الكيان الاسرائيلي ضوءا اخضر، لتنفيذ مجزرة رفح، وكل ما يقال خلاف ذلك هو لذر الرماد في العيون.

-اللافت ان بايدن الذي «ينتقد» نتنياهو، بين وقت واخر، لاسيما قراره بشن الهجوم على رفح، رغم انها باتت تعتبر الملاذ الاخير لاكثر من مليون و٤٠٠ الف لاجيء غزي، نراه يرفض الدعوات لحجب المساعدات العسكرية عن «إسرائيل»، أو فرض شروط عليها، بذريعة أن ذلك لن يؤدي إلا إلى تشجيع «أعداء إسرائيل». كما انه يضغط على الكونغرس لتمرير تشريع يقدم مساعدات عسكرية إضافية لـ»إسرائيل» قيمتها ١٤ مليار دولار.

-بعد كل الضجيج الذي اثارته وسائل الاعلام الامريكية خلال الايام القليلة الماضية، عن وجود خلاف بين بايدن ونتنياهو، بل وحتى قطيعة، على خلفية قرار الهجم على رفح، اتصل بايدن يوم امس بنتنياهو، و»حثه» على عدم شن عملية عسكرية برية في رفح، «من دون خطة ذات مصداقية وقابلة للتنفيذ".

-اللافت ان بايدن يعلم جيدا، ان رفح مكتظة بنحو ١,٤ مليون شخص، يعيش الكثير منهم في خيام وسط نقص متزايد في إمدادات الغذاء والماء والدواء، الا انه لم يطلب في الاتصال الهاتفي بوقف الحرب، وكل ما طالب به ، هو ان «الا تتم العملية من دون خطة ذات مصداقية وقابلة للتنفيذ لضمان الأمن والدعم لأكثر من مليون شخص لجأوا إلى هناك»، بينما هو يعلم جيدا ان رفيقه نتنياهو لم يتورع عن قتل اكثر من ٢٨١٧٦ فلسطينيا، معظمهم من النساء والأطفال، منذ ٧ تشرين الأول/أكتوبر الماضي.

-بات واضحا من خلال كل ما تقدم، ان بايدن قد منح نتنياهو ضوءا اخضر لاجتياح رفح، وان الاجتياح هو في الحقيقة سيكون عدوانا ثلاثيا، امريكي بريطاني اسرائيلي، فامريكا وبريطانيا، متورطتان في حملة الابادة التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني في غزة، بل لولا هاتين الدولتين، لما تمادى نتنياهو بجرائمه، ضاربا بالقوانين والاعراف الدولية بعرض الحائط، متجاهلا الراي العام العالمي، ومحكمة العدل الدولية.

العالم